جامعة الانبار

كلية التربية للعلوم الإنسانية

القسم العلمي: علوم القران والتربية الاسلامية

المرحلة الدراسية: الثانية – الكورس 2

المادة: علوم القران

المحاضرة الاولى.

التحريف ورأي علماء المسلمين في تحريف القرآن.
بعض الشبهات التي أثارها المستشرقون.
الطعن في مصدرية القرآن الكريم.

تمهيد:

س1: ما الشبهات التي أثارها المشركون في زمن النبي صلى الله عليه؟.

الجواب: أثار المشركون في زمن النبي صلى الله عليه وسلم شبهات عديدة:
الشبهة الأولى: منهم من قال بأن القرآن ليس وحيا وإنما هو من كلام محمد صلى الله عليه وسلم.
الشبهة الثانية: وصفوا النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب والافتراء والكهانة والشعر والجنون.
الشبهة الثالثة: مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم بالسخرية والاستهزاء.
الشبهة الرابعة: مع زوجات النبي صلى الله عليه وسلم.
الشبهة الخامسة: مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
فبئس ما صنعوا وباطل ما كانوا يصنعون **قال تعالى:** (وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَراهُ وَأَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُا ظُلْماً وَزُوراً).

س2: كيف تحدى الله العرب؟.

فقد تحداهم الله تعالى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بعشر سورة أو بسورة واحدة من مثله، ولكنهم عجزوا عن ذلك مع أنهم أرباب الفصاحة والبلاغة والشعر.

س3: وهذه الشبهات التي أثاروها لم تكن عن دليل وإنما كانت عن رأي وهوى لأجل الطعن في الاسلام وكذلك الطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكن عجزهم عن الاتيان بمثل هذا القرآن دليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

فقد اصبحت إثارة الشبهات من أهم الواجبات التي يتواصى بها أعداء الله تعالى من المستشرقين وغيرهم، والشبهات التي أثاروها عديدة فمنها ما كان حول القرآن، ومنها ما كان لمس بشخص النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته، وكذلك الصحابة، وسأقتصر على الشبهات التي أثيرت حول القرآن.

الطعن في مصدرية القرآن الكريم: لقد طعن بعض المستشرقين في مصدرية القرآن الكريم، حيث زعموا أن القرآن ليس وحياً من عند الله تعالى وإنما من عند محمد صلى الله عليه وسلم، ساعده على ذلك اطلاعه على المصادر اليهودية والنصرانية.

وهذا كلام باطل لا صحة له، فلو كان القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم كما يزعمون فلماذا ينسبه لغيره، (فأي مصلحة للعاقل الذي يدعي لنفسه حق الزعامة ويتحدى الناس بالأعاجيب والمعجزات لتأييد تلك الزعامة، نقول: أية مصلحة له في أن ينسب بضاعته لغيره، وينسلخ منها انسلاخًا؟ على حين أنه كان يستطيع أن ينتحلها فيزداد بها رفعة وفخامة شأن، ولو انتحلها لما وجد من البشر أحدًا يعارضه ويزعمها لنفسه).

إن هؤلاء المستشرقين كانوا على طرفي نقيض في الطعن، فمنهم من كان ينكر علناً كما يفعل المشركون، ومنهم من كان يدس السم في العسل، ويخلط الأمور على الناس الذين لا يعرفون من الاسلام سوى اسمه، فهؤلاء أخطر؛ لانهم يعتمدون أسلوب التمويه والغش والخداع حيث يتظاهرون بأنهم مع الاسلام قلبا وقالبا، مع أن الحقيقة هي غير ذلك.

يقول أحد المستشرقين: إن القرآن ليس وحيا، وإنما هو من إنتاج الخيال المبدع، فهو يعني بالخيال المبدع، أن محمدا صلى الله عليه وسلم صاحب خيال واسع وإلا لما استطاع أن يخترع القرآن، لذلك ففي زعمه هو أن محمدا صلى الله عليه وسلم يشارك غيره من أصحاب الفن مثل الرسامين وأصحاب الروايات وغيرهم في هذه الخاصية، فهو يساوي بين نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وبين أولئك الرسامين واصحاب الروايات التافهين، وبين الوحي والخيال.

فعبارة (الخيال المبدع)، في ظاهرها المدح للنبي صلى الله عليه وسلم وفي باطنها **الطعن في عدة أمور:**

1- إنكار الوحي فبما أن الرسامين وغيرهم من أصحاب الخيال المبدع لا يوحى اليهم فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لا يوحى إليه.

2- أن أصحاب الخيال المبدع غالبا ما يقع في الخطأ؛ لأنه يعتمد على الفكر والرأي والهوى، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم ليس معصوما عن الخطأ.

قال المستشرق صموئيل مرجيلوث في كتابه (محمد وظهور الاسلام): ((إن محمداً بادعائه الوحي قد ضلل الناس عمداً)).

الطعن في مسألة الوحي.

قسم من المستشرقين ينكرون الوحي جملة وتفصيلا، أي لا يقرون بأن هناك وحيا من عند الله.

والقسم الاخر: لا ينكرون الوحي بل يعترفون بأن هناك وحياً من الله تعالى على أنبيائه؛ لكنهم لا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، مع أنهم لا ينكرون ظاهرة الوحي في الواقع الإنساني؛ لأنهم يعترفون بأنبياء التوراة، فهم إما يهود أو نصارى.

الرد على ذلك: إن بعض المستشرقين لا ينكرون الوحي جملة وتفصيلا، ولا ينكرون نبوات الانبياء السابقين، ولكنهم ينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويزعمون بأنهم صلى الله عليه وسلم لم يوح إليه من عند الله تعالى.

إن هذا الانكار لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أغلب المستشرقين كان قائما على رأى وهوى ينمان عن حقد ضد شخص الرسول صلى الله عليه وسلم والاسلام، ولم يكن قائما على دليل واضح يبرر هذا الانكار.

إن المسلمين يؤمنون بنبوات السابقين، وكذلك يؤمنون بأن محمداً خاتم الانبياء والمرسلين، ولا يفرقون بين أحد من رسل الله على خلاف ما يعتقده بعض المستشرقين.

قال تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ).

وكذلك فإن أنبياء الله تعالى عليهم الصلاة والسلام يؤمنون بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول ونبي مرسل من الله، وهناك وقائع كثيرة يؤيد تصديق الانبياء جميعا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، منها حادثة الاسراء والمعراج، حيث إن هذه الحادثة: (لم يكن الإسراء مجرد حادث فردي بسيط رأى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات الكبرى، وتجلى له ملكوت السماوات والأرض مشاهدة وعيانًا، بل زيادة إلى ذلك, اشتملت هذه الرحلة النبوية الغيبية على معانٍ دقيقة كثيرة، وشارات حكيمة بعيدة المدى: فقد ضمت قصة الإسراء، وأعلنت السورتان الكريمتان اللتان نزلتا في شأنه تسميان (الإسراء) , (النجم) أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو نبي القبلتين، وإمام المشرقين والمغربين، ووارث الأنبياء قبله، وإمام الأجيال بعده، فقد التقت في شخصه وفي إسرائه مكة بالقدس، والبيت الحرام بالمسجد الأقصى، وصلى بالأنبياء خلفه، فكان هذا إيذانًا بعموم رسالته وخلود إمامته وإنسانية تعاليمه، وصلاحيتها لاختلاف المكان والزمان).

الطعن في القرآن.

زعم المستشرقون بأن القرآن الكريم متناقض ومضطرب، فقد أفتروا على كذبا وجاءوا ظلماً وزورا، قال تعالى: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)، وهذا التناقض في زعمهم ناشئ عن أمرين:

الأمر الاول: اختلاف القراءات.

زعم عدد من المستشرقين بأن هناك تناقضاً في القرآن، وأن هناك فرقاً شاسعاً وتبايناً واضحاً بين نصوص القرآن الكريم، وهذا الاختلاف بزعمهم ناتج عن أغراض صاحبه وأهدافه المتطورة بحسب ما يريد، ودليلهم على ذلك التناقض: ناشئ عن اختلاف القراءات القرآنية، لذلك يقول جولد تسيهر المستشرق اليهودي: (فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقدياً على أنه نص منزل موحى به يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب، وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن)، وقد استدل جولد: على أمثلة من القراءات

القرآنية هي في زعمه تدل على اختلاف القراءات كان سبباً في تناقض القرآن، ومن هذه الامثلة:

من سورة الاعراف: (وَنادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيماهُمْ قالُوا مَا أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)، قرأ بعضهم بدلا من: (تستكبرون)، (تستكثرون).

من هذه السورة: (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...)، قرئ أيضا: (نشراً) بالنون بدلا من الباء.

من سورة التوبة: قال تعالى(وَما كانَ اسْتِغْفارُ إِبْراهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَها إِيَّاهُ). بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة من الغريب أنها قراءة حماد الرواية (أباه)، بالباء.

أما عن القراءة الاولى: (تستكثرون)، فهي قراءة غير معتمدة لا في القراءات السبع ولا في الاربع عشرة، بل هي منكرة لا يعرف على وجه التحديد من قرأ بها، لكن هذا هو شأن بعض المستشرقين يسوقون الروايات والتي ليس لها سند ليطعنوا في القراءات المتواترة.

أما عن الاية الثانية: فصحيح قد ثبتت (بضم النون والشين)، عن طريق: نافع، وابن كثير ,وابي عمروا، وأبي جعفر، ويعقوب.

وقرأ عاصم، (بضم النون وسكون الشين)، وقرأ عن حمزة، والكسائي، وخلف، (بالنون المفتوحة وسكون الشين)، لكن هذا الاختلاف لا يعد سبباً في تناقض القرآن؛ لأن التناقض أو الاضطراب هو ورود النص على صور متعدد لا يعرف الصحيح منها وهذا غير، وهذا غير موجود في القراءات مهما اختلفت في النص الواحد فهي متواترة وثابتة مقطوع بصحة نسبتها، فاختلاف القراءات هو اختلاف تنوع وتوسع في ألفاظ القران وليس اختلاف تعارض.

أما عن الآية الثالثة والاخيرة: (أباه)، فهي أيضا قراءة منكرة بالاتفاق.

وقال جولد: أن سبب الاختلاف في القراءات يعود إلى الخط العربي والرسم، أي عن اختلاف هيكل الرسم بالنقاط وكذلك اختلاف الحركات، وهذا زعم باطل لا أصل له اخترعه جولد ليطعن في أهم مقدسات المسلمين كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويزحزح المسلمين عن دينهم ويوهمهم بأن كتاب الله تعالى لم يتحر فيه الضبط والأمانة في ألفاظه، وطرق أدائه.

فأصل اختلاف القراءات ليس هو الرسم، وإنما هو التلقي والنقل والرواية من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل جلالة.

وَوجه هَذَا الِاخْتِلَاف فِي الْقُرْآن هو: (أَن رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ يعرض الْقُرْآن على جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام فِي كل عَام عرضة فَلَمَّا كَانَ فِي الْعَام الَّذِي توفى فِيهِ عرضه عَلَيْهِ عرضتين فَكَانَ جِبْرِيل عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام يَأْخُذ عَلَيْهِ فِي كل عرضة بِوَجْه وَقِرَاءَة من هَذِه الْأَوْجه والقراءات الْمُخْتَلفَة وَلذَلِك قَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم إِن الْقُرْآن أنزل عَلَيْهَا وَإِنَّهَا كلهَا شاف كَاف وأباح لأمته الْقِرَاءَة بِمَا شَاءَت مِنْهَا مَعَ الْإِيمَان بجميعها وَالْإِقْرَار بكلها إِذْ كَانَت كلهَا من عِنْد الله تَعَالَى منزلَة وَمِنْه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مَأْخُوذَة، وَلم يلْزم أمته حفظهَا كلهَا وَلَا الْقِرَاءَة بأجمعها بل هِيَ مخيرة فِي الْقِرَاءَة بِأَيّ حرف شَاءَت مِنْهَا كتخييرها إِذا هِيَ حنثت فِي يَمِين وَهِي موسرة بِأَن تكفر بِأَيّ الْكَفَّارَات شَاءَت إِمَّا بِعِتْق وَإِمَّا بإطعام وَإِمَّا بكسوة وَكَذَلِكَ الْمَأْمُور فِي الْفِدْيَة بالصيام أَو الصَّدَقَة أَو النّسك أَي ذَلِك فعل فقد أدّى مَا عَلَيْهِ وَسقط عَنهُ فرض غَيره فَكَذَا أمروا بِحِفْظ الْقُرْآن وتلاوته ثمَّ خيروا فِي قِرَاءَته بِأَيّ الأحرف السَّبْعَة شَاءُوا).

إن الذي دفع جولد تسيهر وغيره الى هذا الامر هو: إما عدم استيعابهم لحقيقة القرآن بأنه نزل على سبعة أحرف، وإما الحقد الدفين الذي يضمره هؤلاء للإسلام.

ولقد وصل الامر بجولد إلى أن يثير الشبهات حول قراءات متواترة صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويثبت قراءات لا أصل لها.

ومن هذه القراءات: في سورة البقرة: (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها)، تفيد أن الله تعالى يريد أن يسلط النسيان على نفسه.

وقرأ سعيد بن المسيب (ت: 94ه)، المشهور بورعه (ننساها) بإسناد النسيان الى الله تعالى.

إن معنى (ننسها): هو: (ان يذهب بحفظها عن القلوب، والمعنى أن كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من أزالة لفظها وحكمها معا، أو من إزالة أحدهما إلى بدل أو غير بدل، (نات) بآية خير منها للعباد، أي بآية العمل بها اكثر للثواب أو مثلها في ذلك: (على كل شيء قدير)، فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير...).

أما بالنسبة لقراءة سعيد: (ننساها)، فهو لم يقصد النسيان، بل إنه قرأ على تخفيف الهمزة من (ننسأها)، أي نؤخرها ونؤجلها، فقراءة (ننساها) من النسيان لم يقرأ أحد من القراء بها، وإنما قرأ ابن كثير، وأبو عمرو (بفتح النون والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء).

وقرأ الباقون ننسها بضم النون وكسر السين من غير همزة.

ومن خلال ما تقدم: يتبين بأن المستشرقين قد ما رسوا منهج النفي الاعتباطي على علم القراءات القرآنية، حتى الغوا كل الروايات الصحيحة التي تكتنزها كتب القراءات القرآنية.

الامر الثاني: اختلاف المصاحف.

لقد أثار المستشرقون شبهة اخرى وهي اختلاف مصاحف الصحابة عن مصحف سيدنا عثمان رضي الله عنهم غير مستندين بذلك الى دليل قطعي يثبت ذلك، بل اعتمدوا الروايات الضعيفة ونقلوها من غير تحرز ولا تمحيص ولا نقد لأسانيدها، ظانين أنهم قد وجدوا بابا مفتوحا ليدخلوا منه، ويطعنوا بالقرآن والاسلام، غير ملتفتين الى اراء علماء المسلمين في ذلك.

ولقد زعم جولد: أن سيدنا عثمان أخطأ عندما أحرق مصحفي ابن مسعود وزيد بن ثابت ويصف هذا العمل بأنه غير صحيح، ولقد ادعى جولد بأن هذا إهانة لهما، وهذا بلا شك زعم باطل وهو أيضا افتراء على سيدنا علي رضي الله عنه؛ لأسباب منها:

السبب الاول: ان المسلمين تلقوا هذا الامر من سيدنا عثمان بالكتابة والقبول ولم يعب أحد عليه إحراق المصاحف.

السبب الثاني: كما أن سيدنا عثمان لم يحرق هذين المصحفين فقط كما يزعم جولد بل إنه أحرق جميع المصاحف التي كانت في متناول أيدي الصحابة خوفا من أن يختلفوا؛ لأن رقعة الاسلام قد اتسعت وكثر الداخلون في الاسلام الذين لم يكن لهم علم بالقراءات القرآنية، فأراد سيدنا عثمان أن يوحد الناس على مصحف واحدا حتى لا يختلفوا.

السبب الثالث: كان هذا الاحراق كان باتفاق الصحابة، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: ((يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان ولا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف وإحراق المصاحف، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا... والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل)).

السبب الرابع: أن سيدنا عثمان لم يكتب هذا المصحف بيده، بل إنه أوكل الامر بكتابة هذا المصحف الى الصحابة المختصين في هذا الامر.

المناسبات في القران الكريم، مفهوم المناسبة وفوائدها، أنواعها.

معنى المناسبة في اللغة، والاصطلاح.

فالمناسبة لغة: الاتصال، والمقاربة، والمماثلة.

أما في الاصطلاح: هي بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة.

أو كما يقول البقاعي: علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن.

فوائد معرفة المناسبة.

إذا كان لمعرفة سبب النزول أثر في فهم المعنى، وتفسير الآية، فمعرفة المناسبة بين الآيات:

أولا: تساعد على حسن التأويل، ودقة الفهم، وإدراك اتساق المعاني بين الآيات، وترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها، فالقرآن الكريم فيه كثير من فنون العقائد، والأحكام، والأخلاق، والوعظ، والقصص، وغيرها من مقاصد القرآن التي جعلها الله سبحانه هداية للبشر، والتي تدور جميعها على الدعوة إلى الله، والقرآن يبث هذا المعنى من خلال المقاصد، والأغراض الموزعة على كافة الآيات والسور، فلو

جمع كل نوع على حدة، لفقد القرآن بذلك أعظم مزايا هدايته المقصودة، فمن عادة القرآن أن يجمع بين الفنون المختلفة في سورة واحدة، في تنسيق بديع، يصل بها إلى الذروة في الإعجاز البلاغي، والإحكام البياني، وروعة الأسلوب، قال تعالى: (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير).

ثانيا: معرفة أسرار التشريع، وحِكَم الاحكام، وإدراك مدى التلازم بين أحكام الشريعة، فإذا قرأت قوله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذلِكَ أَزْكى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِما يَصْنَعُونَ). وتعرفت على المناسبة بين الامر بغض البصر وحفظ الفرج، علمت ما بينهما من التلازم، فحفظ الفرج لا يتم الا بغض البصر، ومن أطلق بصره في الحرام فحري أن تزل قدمه في الآثام والعياذ بالله.

ثالثا: يعين على فهم معنى الآيات وتحديد المراد منها، ومن ذلك: خلاف المفسرين في معنى قوله تعالى في سورة الصافات: (والصافات صفا)، فقال قوم: هي الملائكة، وهذا قول الجمهور.

وقال آخرون: هي الطير.

والصحيح هي الملائكة؛ لأنا لو بحثنا عن المناسبة بين أول السورة وخاتمتها لوجدناه ذكر في الخاتمة في معرض حديث الملائكة عن أنفسهم حيث قال: (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ(165) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ(166)).

س: هل معرفة المناسبة والربط بين الآيات أمراً توقيفياً؟.

الجواب: ليس توقيفيا ولكنها تعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية.

س: متى تكون المناسبة والربط بين السور والآيات مقبولة؟.

الجواب: إذا كانت المناسبة دقيقة المعنى، منسجمة مع السياق، متفقة مع الاصول اللغوية في علوم العربية.

المحاضرة السادسة.

أنواع المناسبات.

قد تكون المناسبة في مراعاة حال المخاطَبين.

كقوله تعالى: (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ, وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ, وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ, وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ).

فجمع بين الإبل والسماء والجبال مراعاة لما جرى عليه الإلف والعادة بالنسبة إلى المخاطَبين في البادية، حيث يعتمدون في معايشهم على الإبل، فتنصرف عنايتهم إليها، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بالماء الذي ينبت المرعى وترده الإبل، وهذا يكون بنزول المطر، وهو سبب تقلب وجوههم في السماء، ثم لا بد لهم من مأوى يتحصنون به ولا شيء أمنع كالجبال، وهم يطلبون الكلأ والماء فيرحلون من أرض ويهبطون أخرى، ويتنقلون من مرعًى أجدب إلى مرعًى أخصب، فإذا سمع أهل البادية هذه الآيات خالطت شغاف قلوبهم بما هو حاضر لا يغيب عن أذهانهم.

المناسبات بين أجزاء الآية.

قوله تعالى: (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ..)).

فإنه تعالى لما نهى عن الركون إلى الظالمين وهو الميل إليهم، والاعتماد عليهم، وكان ذلك دون مشاركتهم في الظلم، أخبر أن العقاب على ذلك، دون العقاب على الظلم.

مراعاة ما يقتضيه التعبير والمعنى والسياق، مع مراعاة الانسجام في فواصل الآيات، لما لذلك من تأثير كبير على السمع، ووقع مؤثر في النفس.

من ذلك قوله تعالى: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار).

وقوله سبحانه: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم)، ولا شك أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضا يقتضي الفاصلة التي ختمت فيها كل آية من الآيتين، ذلك أن الآية في سورة إبراهيم، في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته، فختم الآية بصفة الإنسان، وأن الآية الثانية في سورة النحل: في سياق صفات الله تعالى، فذكر صفاته.

قوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)، ففي الآية أن جزاء السارق والسارقة قطع أيديهما، والتنكيل بهما

جزاء سرقتهما وخيانتهما، قال الأصمعي: كنت أقرأ سورة المائدة، ومعي أعرابي ، فقرأت هذه الآية: (والسارق والسارقة ..)، فقلت: (والله غفور رحيم) سهوا، فقال الأعرابي: كلام من هذا ..؟ فقلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدت (والله غفور رحيم) ثم تنبهت، فقلت: (والله عزيز حكيم)، فقال: الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت ..؟ قال: يا هذا، عز، فحكم ، فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم، لما أمر بالقطع.

المناسبة بين الآيات.

أن تكون الآية الثانية سببا للأولى: وذلك مثل قوله تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون).

ووجه النظم: أنه تعالى لما قال في الآية الأولى: (ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون).

قال في الآية الثانية: (ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) أي: ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا : (لن تمسنا النار إلا أياما معدودات).

أنواع المناسبات.

إن التآلف والترابط والتناسب كما هو حاصل بين آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة ، حاصل بين سور القرآن، فأنت لا تقرأ سورة من سور القرآن بإمعان، إلا وتجد بينها وبين سابقتها مناسبة ورابطة، تظهر سر الإعجاز في ترتيب سوره.

وهو على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مناسبة فواتح السور لخواتمها.

من ذلك ما في سورة القصص، فقد بدأت بقصة موسى عليه السلام، والوعد برده إلى أمه، ودعائه ألا يكون ظهيرا للمجرمين، ثم ختم الله السورة بتسلية رسولنا - صلى الله عليه وسلم – بخروجه من مكة، ووعده بالرجوع إليها، (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)، وقد عاد إليها فاتحا منتصرا، وقيل له: (فلا تكونن ظهيرا للكافرين).

وسورة (المؤمنون) افتتحت بقوله تعالى: (قد أفلح المؤمنون).

وورد قبل آخرها بآية: (إنه لا يفلح الكافرون).

وسورة (صّ) بدأها بالذكر في قوله تعالى: (صّ والقرآن ذي الذكر).

وقال قبل آخرها بآية : (إن هو إلا ذكر للعالمين).

وفي سورة (القلم) نفى في أولها ما رمي به - صلى الله عليه وسلم - من الجنون، فقال : (ما أنت بنعمة ربك بمجنون)، وفي آخرها حكى قول المشركين، فقال: (ويقولون إنه لمجنون)، فسبحان من نفى عن رسوله التهمة قبل حكايتها .

القسم الثاني: مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها.

قال الزركشي: (إذا اعتبرت افتتاح كل سورة، وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى كقوله سبحانه في آخر سورة (الطور): (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم)، ثم قال في السورة التي تليها:(والنجم إذا هوى).

وافتتاح سورة الحديد بالتسبيح بقوله تعالى: (سبح لله ما في السموات والأرض)، فإنه في غاية المناسبة لختام سورة الواقعة التي قبلها، والتي أمرت به بقوله (فسبح باسم ربك العظيم).

القسم الثالث: مناسبة افتتاح السورة لمقاصدها.

فسورة الإسراء افتتحت بالتسبيح بقوله تعالى: (سبحان الذي أسرى بعبده).

وسورة الكهف وهي تالية لها في الترتيب افتتحت بالحمد، بقوله تعالى: (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا).

قال ابن الزملكاني: (إن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذب المشركون به النبي - صلى الله عليه وسلم، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى، أتى بـ (سبحان) لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب.

وسورة الكهف لما أنزلت بعد سؤال المشركين عن قصة أصحاب الكهف ، وتأخر الوحي، نزلت مبينة أن الله لم يقطع نعمته عن نبيه، ولا عن المؤمنين، بل أتم عليهم النعمة بإنزال الكتاب ، فناسب افتتاحها بالحمد على هذه النعمة)، و هذا باب واسع، يحتاج إلى بحث مستقل ، أكتفي منه بهذا القدر.

مفهوم الوجوه والنظائر.

فالوجوه والنظائر في اللغة.

الوجوه في اللغة: وجه الكلام: السبيل التي تقصدها به، وصرفت الشيء عن وجهه أي عن سننه.

وفي الحديث: عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ؛ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا فِي شَرٍّ، فَذَهَبَ اللَّهُ بِذَلِكَ الشَّرِّ، وَجَاءَ بِالْخَيْرِ عَلَى يَدَيْكَ , فَهَلْ بَعْدَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: ((نَعَمْ))، قَالَ: مَا هُوَ؟ ((قَالَ: فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ, يَتْبَعُ بَعْضُهَا بَعْضًا, تَأْتِيكُمْ مُشْتَبِهَةً كَوُجُوهِ الْبَقَرِ , لاَ تَدْرُونَ أَيًّا مِنْ أَيٍّ))، أي يشبه بعضها بعضاً؛ لأن وجوه البقر تتشابه كثيراً.

وفي شرح السنة قال أبو الدرداء: ((لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة))، أي ترى له معاني يحتملها فتهاب الإقدام عليه.

وكذلك ((ورجل ذو وجهين – أي المنافق - إذا لقي بخلاف ما في قلبه)).

والنظائر: جمع نظير، وهو المماثل والشبيه، يقال: فلان نظير فلان إذا كان مثله وشبيهه والجمع نظراء.

ومن ذلك قول ابن مسعود: ((لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله يقوم بها عشرين سورة من المفصل)، يريد بذلك السور المتماثلة في المعاني، كالموعظة، أو الحكم، أو القصص، لا المتماثلة في عدد الآيات.

وكان أول من عرّف الوجوه والنظائر ابن الجوزي في كتابه: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، حيث قال: (أَن تكون الْكَلِمَة وَاحِدَة، ذكرت فِي مَوَاضِع من الْقُرْآن على لفظ وَاحِد، وحركة وَاحِدَة، وَأُرِيد بِكُل مَكَان معنى غير الآخر، فَلفظ كل كلمة ذكرت فِي مَوضِع نَظِير للفظ الْكَلِمَة الْمَذْكُورَة فِي الْموضع الآخر، وَتَفْسِير كل كلمة بِمَعْنى غير معنى الأخرى هُوَ الْوُجُوه).

فَإذن النَّظَائِر: اسْم للألفاظ، وَالْوُجُوه: اسْم للمعاني، فَهَذَا الأَصْل فِي وضع كتب الْوُجُوه والنظائر.

الوجوه والنظائر اصطلاحاً.

يقول الزركشي في كتابه البرهان: فالوجوه، اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، التي جاءت في القرآن الكريم باستعمالات ومعاني كثيرة منها.

الأول: استعمال " الأمَّة " في : البرهة من الزمن - كما : في قوله تعالى : ((ولئن أخَّرنا عنهم العذابَ إلى أمَّةٍ معدودةٍ الآية ، ونظيره قوله تعالى وقال الذي نجا منهما وادَّكر بعد أمَّة)) .

الثاني: استعمالها في : الجماعة من النَّاس ، وهو الاستعمال الغالب ، كقوله ((ووجد عليه أمَّة من الناس يسقون)) الآية ، وقوله)) ولكلِّ أمَّة رسول ((الآية ، كقوله تعالى:)) كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)).

الثالث: استعمال " الأمَّة " في : الرجل المُقْتدى به ، كقوله)) إن إبراهيم كان أمَّة((.أي كان قدوة.

الرابع: استعمال " الأمَّة " في : الشريعة والطريقة ، كقوله تعالى: ((إنا وجدنا آباءنا على أمَّة ((الآية ، وكقوله تعالى: ((إن هذه أمَّتكم أمَّة واحدة)).

والنظائر كالألفاظ المتواطئة. وقيل: الوجوه في المعاني، والنظائر في اللفظ.

والملاحظ أنَّ الزركشي قد استعمل في تعريف الوجوه والنظائر مصطلحين تابعين لعلم المنطق وهما: اللفظ المشترك، والألفاظ المتواطئة.

أما النظائر فقد أوجز الزركشي في تعريفها إذ قال: (والنظائر كالألفاظ المتواطئة).

ألفاظ اللغة على أنواع:

الأول: الألفاظ المتباينة، وهي الأصل فيها، فلكل لفظ معنى مستقل يدل عليه خاص به؛ فلفظ القلم يباين لفظ الورقة يباين لفظ المسطرة يباين لفظ الكرسي، وهكذا تجد لكل لفظ معنى مستقل يختص به. فهذا المتباين اللفظي.

الثاني: الألفاظ المشتركة، التي يدل الواحد منها على أكثر من معنى، كلفظ (العين) بمعنى العين الباصرة، والعين الجارية، والعين الجاسوس.

و(العلم) بمعنى الراية، وبمعنى العلامة، وبمعنى الجبل، فهذا المشترك اللفظي.

الثالث: الألفاظ المتضادة، التي يدل اللفظ منها على معنيين فأكثر، بينهما تضاد، كلفظ (القرء) للطهر والحيض، ولفظ (عسعس) بمعنى أقبل وأدبر، فهذا المتضاد اللفظي. وهذا النوع والذي قبله: هو ما اتفق لفظه، واختلف معناه.

الرابع: الألفاظ المتواطئة، وهي الألفاظ التي يصدق معناها على كثيرين مختلفين بذواتهم، كلفظ (رجل) فإنه يصدق على كل رجل في الدنيا، فمحمد رجل، وصالح رجل، وناصر رجل، وسالم رجل.

وكلفظ (مدينة) فإنه يصدق على كل مدن الدنيا، فمكة مدينة، والرياض مدينة، وطابة مدينة، والطائف مدينة، فهذا المتواطئ اللفظي.

الخامس: الألفاظ المترادفة، وهي الألفاظ التي تدل على معنى واحد، كلفظ (السيف) و(الفيصل) و(الحسام) و(المهند) كلها تدل على الآلة القاطعة بحدها المستعملة في القتال.

وكلفظ (الأسد) و(الغضنفر) و(الضرغام) على الحيوان المفترس، والملقب بملك الغابة، فهذا المترادف اللفظي.

واختلف في وجوده في اللغة، فمنهم من ينفيه، ويقول: الاسم واحد، والباقي صفات، فهي تتفق في معنى ويختلف كل اسم بالدلالة على صفة، ولا يوجد في اللغة ألفاظ متطابقة تماماً، وبعضهم أرجع ذلك إلى اختلاف القبائل العربية في استعمالها. وعلى كل حال فالقول بالترادف في القرآن الكريم لا يناسب كونه كلام الله العليم الحكيم اللطيف الخبير، والقول به يذهب ببهاء لفظه ووجه من إعجاز نظمه، والله أعلم.

وقد قال ابن تيمية: «الترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن: فإما نادر، وإما معدوم. وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن» اهـ. (مقدمة في أصول التفسير مع شرحها لمحمد بازمول، ص: (٩٧-١٠٣).).

السادس: الألفاظ المشككة، وهي الألفاظ التي تدل على معنى يتفاوت، ولا يوجد على درجة واحدة، فهو يصدق على كثيرين ولكن لا على التساوي، كلفظ (الإيمان)، ولفظ (النفاق)، ولفظ (الصدق)، ولفظ (الحياة)، فهذه الألفاظ المشككة، وهي نوع من المتواطئ. (انظر الصواعق المرسلة الأصل: (١٥١٣/٤).).

النوع السابع: الأسماء المتكافئة، وهي الألفاظ التي بَيْنَ الْمُتَرَادِفَةِ وَالْمُتَبَايِنَةِ كَمَا قِيلَ فِي اسْمِ السَّيْفِ: الصَّارِمُ وَالْمُهَنَّدُ، وَذَلِكَ مِثْلُ أَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، وَأَسْمَاءِ رَسُولِهِ - صلى الله عليه وسلم-، وَأَسْمَاءِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ كُلَّهَا تَدُلُّ عَلَى مُسَمًّى وَاحِدٍ، فَلَيْسَ دُعَاؤُهُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى مُضَادًّا لِدُعَائِهِ بِاسْمٍ آخَرَ؛ بَلْ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى}. (الإسراء: ١١٠)

وَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ، وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الِاسْمُ.

كَالْعَلِيمِ: يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَالْعِلْمِ.

وَالْقَدِيرُ: يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَالْقُدْرَةِ.

وَالرَّحِيمُ: يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَالرَّحْمَةِ.

والرسول -صلى الله عليه وسلم- له أسماء متنوعة، فهو أحمد، ومحمد، والماحي يمحو الله به الشرك، وهو العاقب، وهو الحاشر، والمقصود بها ذات معينة واحدة وهي ذات الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

والله -عز وجل- له أسماء وصفات كثيرة، وقد جاء في الحديث: «إن لله تسعاً وتسعين اسما»، فهذه الأسماء المتنوعة تدل على ذات واحدة هي الله -عز وجل-، فهذه الْأَسْمَاءِ الْمُتَكَافِئَةِ.

كيفية الوصول إلى حُكم المشترك.

الحالة الأولى : إذا كان الاشتراك بين معنًى لغوي ومعنى اصطلاحي شرعي، فيتعينُ حينئذٍ إرادةُ المعنى الاصطلاحي الشرعي، وذلك كألفاظ الصلاة، والزكاة، والصيام، ونحوها؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (فالمراد بالصلاة معناها الشرعي بهيئاتها وشروطها وأركانها، لا معناها اللغوي وهو

(الدعاء)، لا يؤخذ بالمعنى اللغوي هنا إلا بقرينة مرجّحة؛ كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ فالصلاة لفظٌ مشترك بين معناه الاصطلاحي الشرعي ومعناه اللغوي (الدعاء)، فدلت القرينةُ على إرادة الثاني دون الأول.

الحالة الثانية: إذا كان الاشتراك بين معنيين لغويين، بحيث يدور اللفظُ المشترك الوارد في النص الشرعي بين معانٍ ليس للشارع عُرْفٌ خاص في تحديد أيها يراد؛ كما في سورة البقرة كقوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ فلفظ) :القَرء) يطلق على الحَيْضة عند أهل العراق، وعلى الطُّهر في لغة أهل الحجاز، فمن رأى أن المراد به في الآية: (الطهر (استدلَّ بالقرينة اللفظية في تأنيثِ العدد) ثلاثة(مما يدل على أن المعدودَ مذكَّر، فيكون المراد بالقروء الأطهار لا الحيضات، ومَن رأى أن المراد به الحيضُ، استدل بأن تشريعَ العدة كان لمعرفة براءة الرَّحِم من الحمل, الأمر الذي يُعرَف بالحيض لا بالطُّهر.

فإن جمهورَ الأصوليين على جوازِ استعمال المشترك في كلا معنيَيْه, سواء كانا حقيقيين أم كان أحدهما حقيقة والآخر مجازًا فيكون كالعام في شموله ما يدل عليه؛ في سورة الحج قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾ رأَوْا أن لكلمة) يسجد) معنيين: الخضوع القهري لحكمةِ الله تعالى؛ حيث إن جميعَ المخلوقات خاضعةٌ بلسان حالها كذلك؛ في سورة الرعد قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾، والمعنى الآخر هو وَضْع الجبهة على الأرض, وهو السجودُ المعروف في الصلاة شرعًا.

فإذا كان الأول متصوَّرًا في حقِّ جميع هؤلاء المذكورين في نص الآية، فالمعنى الثاني هو ما يمكن حملُ الآية عليه بالنسبة للناس، بدليل تخصيص كثيرٍ من الناس بالسجود، دون مَن عداهم ممن حقَّ عليهم العذاب، مع استوائهم في السجود بمعنى الخشوع أي الخضوع؛ فكلا المعنيينِ مقصودٌ في الآية عند هؤلاء؛ لأنه لو أريد الخضوع وحده، لكان تخصيص كثيرٍ من الناس دون عامَّتهم لا معنى له؛ لأن جميعَ الناس خاضعون للقدرة الإلهية.

ويرى الغزالي أن: (الألفاظ المتعددة بالإضافة إلى المسميات المتعددة على أربع منازل، وهي المترادفة، والمتباينة، والمتواطئة، والمشتركة.

1- فالألفاظ المترادفة: وهي أسماء مختلفة لمسمى واحد: كالليث والاسد، والعُقار والخمر.

فان كان احدهما يدل على المسمى مع زيادة لم يكن من المترادفة، كالسيف والمهند والصارم.

فان المهند يدل على السيف مع زيادة نسبته الى الهند.

والصارم يدل عليه مع صفة الحدة، فخالف اذا مفهومه مفهوم السيف.

2- الالفاظ المتباينة: الاسماء المختلفة للمعاني المختلفة: كالسماء والارض.

3- المتواطئة: فهي الاسماء المنطلقة على أشياء متغايرة بالعدد، متفقة بالمعنى التي وضع الاسم عليها، كالرجل: ينطلق على زيد وعمرو، والجسم ينطلق عليهما، وعلى السماء والارض لاتفاقهما في معنى الجسمية.

فعبارة الألفاظ المتواطئة هي: بدورها من مصطلحات علم المنطق، وتدل على الألفاظ المتحدة الدالة على مسميات مختلفة الحقيقة باعتبار معنى مشترك بينها كدلالة الحيوان على أنواعه: الإنسان، والفرس والطائر، النبات.

4- الالفاظ المشتركة: كالعين، والقرء، واللباس الامة وغيرها، ويقد يقرُب المشترك من المتواطئ.

والاشتراك في الألفاظ قد يكون معنويًّا، بأن يشترك في الكلمة الواحدة أفراد كثيرون، بحيث ينطبق عليهم جميعًا نفسُ اللفظ، مثل كلمة الانسان إذ يشتركُ فيها جميع بني آدم؛ فكلُّ واحد منهم إنسان.

فالألفاظ المشتركة هي الألفاظ المتحدة، الدالة بالوضع، المتساوي على مسميات مختلفة بالحقيقة، كلفظ العين الدال على:

- عين الماء، كقوله تعالى: (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ).

- الرعاية والحفظ: كقوله تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا...).

- الذهب: كقول الفقهاء: (نصاب العين عشرون دينار).

- العضو الباصر، وغيرها من المعاني.

فالوجوه إذن هي: اللفظ المشترك باعتبار أن اللفظ الواحد تتعدد استعمالاته في القرآن دون أن تكون هنالك علاقة واضحة بين المعاني المختلفة التي استعمل فيها.

لقد ورد في القرآن الكريم مادة (لبس) في آيات متعددة:

معناه الخلط كما في قوله تعالى: (وَلاَ تَلْبِسُواْ الحَقَّ بِالبَاطِلِ).

وقوله تعالى: (لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ).

وقوله تعالى: (الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ).

ومعناه السكن كما في قوله تعالى: (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُم لِبَاسٌ).

وقوله تعالى: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً).

ومعناه الثياب كما في قوله تعالى: (قَد أَنزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاساً يُوَارِى سَوْءَاتِكُم).

وقوله تعالى: (يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ).

ومعناه العمل الصالح كما قوله تعالى: (وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ)، وغيرها من النصوص القرآنية.

اشتباه الالفاظ المشتركة بالمتواطئة: كالحي يقع على الحيوان والنبات، يُظنُ أنه من المتواطئ، وهو من المشترك، اذ المراد من حياة النبات الذي يحصل به نماؤه، ومن الحيوان الذي يحس به ويتحرك بالإرادة.

مفهوم الترجمة وفوائدها.

الترجمة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، ويقال: ترجم كلامه إذا فسّره بلسان آخر، ومنه الترجمان- بفتح التاء وضمها- وهو الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى.

ترجمة القرآن: فإن علماء المسلمين يقررون ضرورة تبليغ القرآن ورسالته إلى أمم الأرض مهما كانت لغاتهم، وتحقيق ذلك قد لا يتم إلا بضرب من الترجمة.

قال ابن تيمية رحمه الله: (ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه، كما أمر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يكون تبليغ رسالة الله إلا كذلك، وإن تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى ترجمته لهم، فيترجم لهم بحسب الإمكان، والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني فيكون ذلك من تمام الترجمة).

فوائدها, ويشتمل.

كشف النقاب عن جمال القرآن الكريم ومحاسنه.

تبليغ دعوة القرآن الكريم بلفظه ومعناه.

إحياء لغة العرب وتعريب الأعاجم.

دفع الشبه التي ألصقها أعداء الإسلام بالقرآن الكريم.

الترجمة الحرفية.

أي نقل اللفظ بلفظ مرادف.

وقيل: هي نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، مع مراعاة الموافقة فى النظم والترتيب، والمحافظة على جميع معانى الأصل المترجَم.

الترجمة الحرفية للقرآن: إما أن تكون ترجمة بالمثل، وإما أن تكون ترجمة بغير المثل.

أما الترجمة الحرفية بالمثل: فمعناها أن يُترجَم نظم القرآن بلغة أخرى تحاكيه حذواً بحذو بحيث تحل مفردات الترجمة محل مفرداته، وأسلوبها محل أسلوبه، حتى تتحمل الترجمة ما تحمَّله نظم الأصل من المعاني المقيدة بكيفياتها البلاغية وأحكامها

التشريعية، وهذا أمر غير ممكن بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ وذلك لأن القرآن نزل لغرضين أساسيين:

الغرض الاول: كونه آية دالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يُبلِّغه عن ربه، وذلك بكونه معجزاً للبَشر، لا يقدرون على الإتيان بمثله ولو اجتمع الإنس والجن على ذلك، فلا يمكن تأديته بالترجمة اتفاقاً، فإن القرآن - وإن كان الإعجاز في جملته لعدة معان كالإخبار بالغيب، واستيفاء تشريع لا يعتريه خلل، وغير ذلك مما عُدَّ من وجوه إعجازه - إنما يدور الإعجاز الساري في كل آية منه على ما فيه من خواص بلاغية جاءت لمقتضيات معيَّنة، وهذه لا يمكن نقلها إلى اللغات الأخرى اتفاقاً، فإن اللغات الاخرى وإن كان لها بلاغة، ولكن لكل لغة خواصها لا يشاركها فيها غيرها من اللغات، وإذن فلو تُرجِم القرآن ترجمة حرفية - وهذا محال - لضاعت خواص القرآن البلاغية، ولنزل من مرتبته المعجزة إلى مرتبة تدخل تحت طوق البشر، ولذهب المقصد العظيم الذى نزل القرآن من أجله على محمد صلى الله عليه وسلم.

أما الغرض الثاني: هداية الناس لما فيه صلاحهم في دنياهم وأخراهم، أي هداية للناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين فذلك باستنباط الأحكام والإرشادات منه، وهذا يرجع بعضه إلى المعاني الأصلية التي يشترك في تفاهمها وأدائها كل الناس، وتقوى عليها جميع اللغات، وهذا النوع من المعاني يمكن ترجمته واستفادة الأحكام منه، وبعض آخر من الأحكام والإرشادات يُستفاد من المعاني الثانوية، ونجد هذا كثيراً في استنباط الأئمة المجتهدين، وهذه المعاني الثانوية لازمة للقرآن الكريم وبدونها لا يكون قرآناً. والترجمة الحرفية إن أمكن فيها المحافظة على المعاني الأوَّلية، فغير ممكن أن يحافظ فيها على المعاني الثانوية، ضرورة أنها لازمة للقرآن دون غيره من سائر اللغات.

ومما تقدم يُعلم: أن الترجمة الحرفية للقرآن، لا يمكن أن تقوم مقام الأصل في تحصيل كل ما يُقصد منه، لما يترتب عليها من ضياع الغرض الأول برمته، وفوات شطر من الغرض الثاني.

وأما الترجمة الحرفية بغير المثل: فمعناها أن يُترجم نظم القرآن حذواً بحذو بقدر طاقة المترجِم وما تسعه لغته، وهذا أمر ممكن، وهو وإن جاز في كلام البَشر، لا

يجوز بالنسبة لكتاب الله العزيز؛ لأن فيه من فاعله إهداراً لنظم القرآن، وإخلالاً بمعناه، وانتهاكاً لحرمته، فضلاً عن كونه فعلاً لا تدعو إليه ضرورة.

فالترجمة الحرفية ليست تفسيراً للقرآن، اتضح لنا مما سبق معنى الترجمة الحرفية بقسميها على عدم إمكان الترجمة الحرفية بالمثل، وعدم جواز الترجمة الحرفية بغير المثل، وإن كانت ممكنة.

حكم الترجمة الحرفية.

قال بعضهم: إن الترجمة الحرفية مستحيلة.

وقال آخرون: إنها ممكنة في بعض الكلام دون بعض.

ولقد علمت أن هذه الترجمة يكتنفها الغموض وخفاء المعنى المقصود، ولهذا لا يجد المرء أدنى شبهة في حرمة ترجمة القرآن ترجمة حرفية.

لم يكتب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى قيصر إلا بآية واحدة محكمة بمعنى واحد وهو توحيد الله تعالى والتبري من الإشراك :

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله، يَا أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ).

استخدم النبي صلى الله عليه وسلم في وصفه الوظيفي (رسول الله)، وليس (نبي الله)، وذلك من أجل أن يفهم هرقل ومن يسمع معه أن محمداً صلى الله عليه وسلم يوحى اليه من أجل التبليغ للناس كافة، فهو لم يكن نبياً لقومه العرب خاصة، كما كان دور الكثير الانبياء الآخرين من قبله، حيث كانوا يبعثون لأقوامهم خاصة، وخاصة أنبياء بني إسرائيل.

عالجت الرسالة ضمن الآية القضية التي أخطأ فيها قوم هرقل وأتباعه باتخاذ الارباب من دون الله، وإن أحبارهم ورهبانهم هم الذين يستعبدون الناس، وإنما جاء الاسلام لمعالجة الأمر أيضا، فلا رب إلاّ الله سبحانه وتعالى.

أشارت الرسالة إلى الأريسيين، وهم أما أن يكونوا بسطاء الروم وضعفاؤهم ومزارعيهم، فيكون القصد في أن رئاسة الناس أمانة في عنق حاكمهم، فإن أظلهم فسيبوء بذنوبهم؛ لأن الناس على دين ملوكهم، وأما أن يكون الأريسيون هم من على عقيدة أريوس ذلك الرجل المصري النصراني الذي دعا إلى توحيد الخالق جل جلاله وأن المسيح ليس ابن الله، وأصبح له اتباع كثيرون، فهنا يكون مراد الرسالة أن الكثير من الروم تدعوهم فطرتهم؛ لأن يكونوا موحدين لله جل جلاله، وإن هرقل قد أفسد عقيدتهم التي هي أقرب ما يكون لما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم.

إن الترجمة الحرفية لا بدّ فيها من أمرين هما.

1 - وجود مفردات في لغة الترجمة مساوية لمفردات القرآن.

2 - تشابه اللغتين في الضمائر المستترة والروابط التي تربط المفردات لتأليف التراكيب.

وهذان الأمران يجعلان الترجمة أكثر استحالة، ومن الأدلة على استحالة الترجمة شرعا ما يلى:

1 - أن طلب المستحيل العادي حرمه الإسلام أيّا كان هذا المستحيل ترجمة أو غير ترجمة، وذلك؛ لأنه ضرب من العبث، وتضييع للوقت من غير فائدة ولا ثمرة.

قال تعالى: (وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((لا ضرر ولا ضرار)).

2 - إن محاولة هذه الترجمة تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب الله عز وجل مكتفين ببدل أو أبدال يزعمون أنها ترجمات له، ولا يشك عاقل في أنه بمرور الزمن سيذهب عنها اسم الترجمة ويبقى اسم القرآن علما عليها ويقال: هذا قرآن بالإنجليزية، وذاك بالفرنسية ونحو ذلك، فلو ذهبنا إلى القول بجواز هذه الترجمة لدعا ذلك كل قطر من الأقطار أن يكون له قرآن من هذا الطراز، ولا شك في حرمة

هذا لأنه يؤدى إلى صرف الناس عن كتاب الله، وإلى تفرقهم عنه وضلالهم في مسماه.

3 - لو جوزنا هذه الترجمة ووصل الأمر إلى حدّ يستغنى الناس عن القرآن بترجماته لتعرض الأصل العربي للضياع، كما ضاع الأصل العبري للتوراة والإنجيل، ولا ريب في أن ضياع الأصل العربي نكبة كبرى تغرى النفوس على التلاعب بدين الله تبديلا وتحريفا مناهل العرفان.... ومن هنا يجب القول بتحريم كل عمل يعرّض الدين للتغيير والتبديل.

هذا وقد يعترض معترض ويقول.

كيف تقولون باستحالة الترجمة شرعا، وقد روى أن أهل فارس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب لهم: ((بسم الله الرحمن الرحيم- بنام يزدان بخشايند))، فكانوا يقرءون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم، وبعد ما كتب عرضه على النبي صلى الله عليه وسلم.

والجواب عن هذا من وجوه.

أولها: أن هذا خبر مجهول الأصل لا يعرف له سند فلا يجوز العمل به.

ثانيها: لو كان هذا الخبر ثابتا لنقل وتواتر لأنه مما تتوافر الدواعي على نقله وتواتره.

ثالثها: أن هذا الخبر قد وقع فيه اختلاف بالزيادة والنقص، وذلك موجب لاضطرابه وردّه، والدليل على هذا الاضطراب أن الإمام النووي - رحمه الله - قد نقله بلفظ آخر نصه: عن سلمان الفارسي رضى الله عنه أن قوماً من الفرس سألوه أن يكتب لهم شيئا من القرآن فكتب لهم فاتحة الكتاب بالفارسية.

والمتأمل يجد مخالفة واضحة بين الروايتين فالرواية الثانية نصت على أنه رضى الله عنه ترجم لهم الفاتحة ولم تذكر العرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والرواية الأولى ذكرت بعض البسملة، ونصت على العرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رابعها: أن هذه الرواية على فرض صحتها معارضة للأدلة القاطعة السابقة التي تدل على استحالة الترجمة وحرمتها، ولا شك أن معارض القطعي ساقط.

خامسها: أن هذه الرواية تحمل في نفسها دليل الضعف، حيث إنهم سألوه أن يكتب لهم ترجمة فاتحة الكتاب، فلم يكتبها لهم، وكتب ترجمة البسملة، فلو كانت الترجمة ممكنة شرعا لأجابهم إلى ما طلبوا وإلا كان آثما.

سادسها: المتأمل في هذا الخبر يدرك أن البسملة ذاتها لم تترجم لهم كاملة لأن هذه الألفاظ التي ساقتها الرواية على أنها ترجمة للبسملة لم يؤت فيها بلفظ مقابل للفظ (الرحمن) وكأن ذلك لعجز اللغة الفارسية عن وجود نظير فيها لهذا الاسم الكريم، وهذا دليل على أن المراد بالترجمة هنا الترجمة اللغوية لا العرفية.

فإن قيل: إذا كانت الترجمة حراماً فكيف نبلغ هداية القرآن إلى الأمم الأخرى وهو واجب؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مرسل إلى العالم كله؟.

والجواب من وجوه.

أولا: إن تبليغ الأمم الأجنبية هداية القرآن لا يتوقف على ترجمته لهم ترجمة حرفية، بل يمكن أن يحصل بترجمته على المعنى اللغوي السابق، وهو تفسير القرآن لهم باللغة التي يفهمونها.

ثانيا: مما تقدم يعلم أن ترجمة القرآن ترجمة حرفية مستحيلة، والله عز وجل لا يكلفنا بالمستحيل. قال تعالى: (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها).

ثالثا: أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتخذ هذه الترجمة وسيلة إلى تبليغ الأجانب، مع أنه قد دعا العرب والعجم، وكاتب كسرى وقيصر، وراسل المقوقس والنجاشي، وكانت جميع كتبه لهم عربية العبارة ليس فيها آية واحدة مترجمة، فضلا عن ترجمة القرآن كله، وهؤلاء الملوك قد يدعون تراجم يفسرونها لهم، وقد يسألون من يتصل بهم عن تعاليم الإسلام وصفات النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم.

ومن أمثلة الترجمة الحرفية على فرض إمكانها.

قال تعالى: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ)، فلو أراد إنسان أن يترجم هذه الآية ترجمة حرفية فإنه يأتي بكلام من لغة الترجمة يدل على النهى عن ربط اليد في العنق، وعن مدها غاية المد، مع رعاية ترتيب الأصل ونظامه، بأن تأتى بأداة النهى أولا، يليها الفعل المنهى عنه متصلا بمفعوله ومضمرا فيه فاعله، لكن هذا التعبير الجديد قد يخرج في أسلوب غير معروف ولا مألوف في

تفهيم المترجم، أهم ما يرمى إليه الأصل من النهى عن التقتير والتبذير، بل قد يستنكر المترجم لهم هذا الوضع الذى صيغ به هذا النهى ويقولون: ما باله ينهى عن ربط اليد بالعنق وعن مدها غاية المد؟ وقد يلصقون هذا العيب بالأصل ظلما وما العيب إلا فيما يزعمونه ترجمة للقرآن من هذا النوع.

الترجمة التفسيرية.

وهي ترجمة المعنى وبيانه، وسواء ترجم القرآن ترجمة حرفية أم تفسيرية، ومهما توافر لتلك الترجمة من الدقة والإخلاص فإنها لا تسمى قرآنا؛ لأن القرآن موحى بلفظه ومعناه، والترجمة تفوّت الألفاظ ونظمها، إذا أمكن أن تحافظ على المعنى كاملا، وهو غير متيسر في الواقع.

ونقل النووي عن إمام الحرمين قوله: (ترجمة القرآن ليست قرآنا بإجماع المسلمين، ومحاولة الدليل لهذا تكلف، فليس أحد يخالف في أن من تكلم بمعنى القرآن بالهندية ليست قرآنا، وليس ما لفظ به قرآنا، ومن خالف في هذا كان مراغما جاحدا، وتفسير شعر امرئ القيس ليس شعره، فكيف يكون تفسير القرآن قرآنا؟).

وخلاصة الموضوع أنه يمكن القول: إن ترجمة القرآن مهما كانت لا تسمى قرآنا، وإنما هي نوع من التفسير بلغة أخرى غير العربية، ومن ثم أجمع العلماء على عدم جواز قراءة القرآن بغير اللغة العربية في الصلاة أو في غيرها.

ومن أمثلة الترجمة التفسيرية على فرض إمكانها.

في آية النهى عن التقتير والإسراف- لو أراد الإنسان أن يترجمها ترجمة تفسيرية فإنه يأتي بالنهى عن التبذير والتقتير مصورين بصورة شنيعة ينفر منها الإنسان حسبما يناسب أسلوب اللغة المترجم إليها، ويناسب إلف من يتكلم بها. ومن هنا يتضح أن الغرض الذى أراده الله تعالى من هذه الآية يكون مفهوما بكل سهولة ووضوح في الترجمة التفسيرية دون الترجمة الحرفية.

الترجمة المعنوية.

الترجمة المعنوية للقرآن فهي جائزة في الأصل؛ لأنه لا محذور فيها، وقد تجب حين تكون وسيلة إلى إبلاغ القرآن والإسلام لغير الناطقين باللغة العربية؛ لأن إبلاغ ذلك واجب، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

لكن يشترط لجواز ذلك شروط:

الشرط الأول: أن لا تجعل بديلاً عن القرآن بحيث يستغني بها عنه، وعلى هذا فلا بد أن يكتب القرآن باللغة العربية وإلى جانبه هذه الترجمة، لتكون كالتفسير له.

الشرط الثاني: أن يكون المترجم عالما بمدلولات الألفاظ في اللغتين المترجم منها وإليها، وما تقتضيه حسب السياق.

الشرط الثالث: أن يكون عالما بمعاني الألفاظ الشرعية في القرآن، ولا تقبل الترجمة للقرآن الكريم إلا من مأمون عليها، بحيث يكون مسلما مستقيما في دينه.

حكم الترجمة المعنوية.

وترجمة معاني القرآن الثانوية أمر غير ميسور، إذ إنه لا توجد لغة توافق اللغة العربية في دلالة ألفاظها على هذه المعاني المسماة عند علماء البيان خواص التراكيب، وذلك ما لا يسهل على أحد ادعاؤه، وهو ما يقصده الزمخشري من عبارته السابقة، فوجوه البلاغة القرآنية في اللفظ أو التركيب. تنكيرًا وتعريفًا، أو تقديمًا وتأخيرًا، أو ذِكرًا وحذفًا، إلى غير ذلك مما تسامت به لغة القرآن، وكان له وقعه في النفوس - هذه الوجوه في بلاغة القرآن لا يفي بحقها في أداء معناها لغة أخرى، لأي أي لغة لا تحمل تلك الخواص.

أما المعاني الأصلية: فهي التي يمكن نقلها إلى لغة أخرى، فإن ترجمة المعاني الأصلية لا تخلو من فساد، فإن اللفظ الواحد في القرآن قد يكون له معنيان أو معان تحتملها الآية، فيضع المترجم لفظًا يدل على معنى واحد حيث لا يجد لفظًا يشاكل اللفظ العربي في احتمال تلك المعاني المتعددة.

وقد يستعمل القرآن اللفظ في معنى مجازي فيأتي المترجم بلفظ يرادف اللفظ العربي في معناه الحقيقي، ولهذا ونحوه وقعت أخطاء كثيرة فيما تُرجم لمعاني القرآن.

فإن بعض العلماء يخص هذا بمقدار الضرورة في إبلاغ الدعوة، بالتوحيد وأركان العبادات، ولا يتعرض لما سوى ذلك، ويؤمر من أراد الزيادة بتعلم اللسان العربي.

إن ترجمة تفسير القرآن الكريم ليس حراماً مطلقاً ولا مباحاً مطلقاً, ولكن يجوز ترجمة تفسير القرآن الكريم بشروط وقيود, لئلا تمتد الأيدي السوداء إلى قداسة القرآن وكرامته.

فالترجمة المعنوية متعذرة ويدخلها خلل واضح كما هو مبين من الامثلة الاتية:

المثال الأول: ما صنعه (ماكس هينج) - مترجم القرآن إلى اللغة الألمانية- في قوله تعالى في سورة الغاشية: (أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)، حيث ترجم كلمة الإبل بالسحاب، وهو أحد المعاني التي حملت عليها الآية، والجمهور يفسّرون الإبل بالحيوان المعروف، وهو المتبادر، ولا داعي للتأويل، والخلل واضح في هذه الترجمة سواء كانت حرفية أو معنوية.

المثال الثاني: ما فعله (مارماديوك) مترجم القرآن إلى اللغة الإنكليزية في قوله تعالى في سورة الانبياء: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ)، حيث ترجم كلمة (فيدمغه) بمعناها الأصلي وهو (فيشق رأسه) علما أن القرآن الكريم يستعملها في هذه الآية ويريد منها المعنى المجازي وهو (الغلب).

ويترجم قوله تعالى في سورة الاسراء: (وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ الْبَسْطِ) بمدلولها الأصلي، وهو جمع اليد إلى العنق وإطلاقها، فيقول: لا تجعل يدك مربوطة إلى رقبتك ولا تتركها من غير ربط، ولا شك أن التشويه والمسخ ظاهر في هذه الترجمات التي ما أريد بها وجه الله ولا هداية الناس.

النتائج الخطيرة المترتبة على الترجمة.

1 - خطر يحيق بالقرآن الكريم.

أ- إن محاولة ترجمة القرآن، تشجع الناس على انصرافهم عن كتاب ربهم، مكتفين ببدل أو أبدال يزعمونها ترجمات له، وإذا امتد الزمان بهذه الترجمات فسيذهب اسم

الترجمة ويبقى اسم القرآن علما عليها.

وقد جاء في ملحق لمجلة الأزهر: إن أهالي جاوه المسلمين يقرءون الترجمة الإفرنجية ويقرؤونها لأولادهم وهم يعتقدون أن ما يقرءون هو القرآن الصحيح؟.

ب- وعند ما نجيز الترجمة، ويصل الأمر إلى حد استغناء الناس عن القرآن، فإن هذا يعرض الأصل العربي للضياع، كما ضاع الأصل العربي للأناجيل ولم يبق إلا ترجمتها اليونانية أو ترجمة بعضها، مما أدى إلى تحريفها وتبديلها، وهكذا يكون القرآن- لا قدر الله- لو ترجم واعترف بالترجمة واعتبرت قرآنا.

2- خطر ينزل بالأمة الإسلامية.

أ- إن شعوب الأمة الإسلامية تجتمع حول راية القرآن، فإذا قبلنا بفكرة الترجمة، كان معنى ذلك أن نوجد لكل شعب ترجمة بلسانها، وهذا يؤدي إلى الفرقة بين المسلمين ويضعف الروابط بينهم؛ والله سبحانه يقول في سورة آل عمران: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)).

ب- إن فتح هذا الباب يوجد في العالم ترجمات كثيرة لا حصر لها، وهي بالتأكيد مختلفة فيما بينها، وينشأ عن هذا الاختلاف في الترجمات خلاف بين المسلمين أشبه باختلاف اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، وهذا الخلاف يصدع بناء المسلمين، ويهيئ لأعدائهم فرصة، ويوقظ بينهم فتنة عمياء.

3 - خطر يحل باللغة العربية.

القرآن الكريم مدّ سلطان اللغة العربية على منطقة من أوسع مناطق الدنيا واخترق بها قارات ثلاثا هي: آسية وإفريقيا وأوربا (الأندلس)، وجعل العربية هي اللغة العالمية المشتركة المنشودة، فكل مسلم يشعر أن العربية لغته لأن القرآن قد نزل بها، ونحن اليوم عند ما نقبل ترجمة القرآن إلى أي لسان، فإنما نكون قد زدنا المسلمين من غير العرب انصرافا عن اللغة العربية وعلوم القرآن، وقبلنا العزلة لأنفسنا ولغتنا، والله سبحانه وتعالى أراد لنا العزة، وأن تبقى لغة القرآن هي لغة الإسلام والمسلمين في كل الأرض. قال الله تعالى في سورة الانبياء: (لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ كِتاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ).

والعناية باللغة العربية جزء حقيقي من عمل الإعلام الإسلامي, وقد قطع السلف الصالح أشواطاً واسعة في التعرب, إيماناً بأن اللغة العربية جزء من الإسلام, لأنها لغة القرآن الكريم.

وقد ذكر الجاحظ: أن موسى بن سيار كان من أعاجيب الدنيا, كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية, وكان يجلس في مجلسه المشهور به, فيقعد العرب عن يمينه, والفرس عن يساره, فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية, ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية , فلا يدرى بأي لسان هو أبين).

فاللغة العربية هي الأداة والوسيلة التي تصل بالمسلم إلى فهم الكتاب والسنة, فإن فقدت الأداة, فإما أن تتوقف الدعوة أو نبحث عن وسيلة نبلغ بها من لا يعرف العربية , والذي لا يعرف العربية عليه أن يتعلمها.

قال عمر بن الخطاب (تعلموا العربية فإنها من دينكم)، وروي بلفظ: (تعلموا اللحن والفرائض فإنها من دينكم).

و أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن عمر بن الخطاب قال: (تعلموا العربية وتفقهوا في الدين, وأحسنوا عبارة الرؤيا).

إن نفس اللغة العربية من الدين, ومعرفتها فرض واجب, فإن فهم الكتاب والسنة فرض, ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية, وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

والوسيلة الموصلة إلى تبليغ الكتاب والسنة, هي تفسيرهما إلى لغات البشر جميعاً, وقد قدرها بعض العلماء بنحو سبعة آلاف لغة, فهل نحن مدركون لضخامة واجب البيان والتبليغ والتفهيم؟.

إنه ليس من المعقول أن تتوقف الدعوة الإسلامية باصطدامها بحاجز اللغة فقط, بينما الرسول الكريم لم يتوقف عن الدعوة والتبليغ للعرب فقط, بل نشر الدعوة في السنة السابعة من الهجرة, إلى جميع الأمم المحيطة بالجزيرة العربية, فأرسل الرسائل إلى الملوك والرؤساء, واستقبل الوفود, ولم تكن اللغة عائقاً أمام الدعوة, بل حث أصحابه على تعلم اللغات كالسريانية.

عن زيد بن ثابت، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم إنه يرد علي أشياء, أكره أن يقرأ, أفتطيق أن تعلم السريانية؟ قلتُ: نعم, فتعلمتُها في سبع عشرة.

ومن الصحابة من كان يحسن الفارسية والرومية والحبشية, كسلمان الفارسي, وصهيب الرومي, وبلال الحبشي.

وفي بداية دخول الإسلام إلى بلاد العجم, كان دعاة الإسلام يفسرونه ويشرحونه للناس بلسانهم, بينما كانت اللغة العربية وقتئذ في موقع العزة والقوة والمنعة, تفرض نفسها على جميع الأمم والشعوب, فأصبحت لغة الدواوين والعلوم بيد أنها لغة الدين الجديد .

وبعد سقوط الخلافة الإسلامية, تفككت الدولة الإسلامية, وأصبحت دويلات مختلفة, وأضحى الإسلام واللغة العربية هدفيْن رئيسييْن للأعداء, للنيل منهما, والعمل بشتى الوسائل لإضعافهما.

فليست حماية الأمة الإسلامية بحماية أرضها فقط , بل بحماية لغتها أيضاً من الضعف والاضمحلال والضياع.

.